بـــرلمـــان «الـــفـــلـــول»

حسين عبد الرازق

أغلق باب الترشيح لانتخابات مجلسي «الشعب» و«الشورى» الاثنين الماضي، وأصبحت أسماء الذين سيخوضون الانتخابات على المقاعد الفردية لمجلس الشعب (١٦٦ مقعدا)، وان تركيب القوائم الحزبية أو الائتلافية بين أكثر من حزب، وأسماء المرشحين واتجاهاتهم أصبحت متاحة للجميع، وهناك شبه اتفاق بين المتابعين لهذه الانتخابات على أن المجلس القادم نتيجة هذه الانتخابات سيشهد عودة لم تكن متوقعة لفلول الحزب الوطني ومعهم جماعة الإخوان المسلمين والتيار السلفي الإسلامي، بينما تغيب قوى الثورة ممثلة في شباب ٢٥ يناير والأحزاب والقوى السياسية الديمقراطية ويتقزم وجودها داخل المجلس ويصيبها التشرذم والانقسامات!

وكانت الصورة منذ عدة أشهر مختلفة وتدعو للتفاؤل، فبمبادرة من حزب الوفد وجماعة الإخوان المسلمين التقى ممثلو ١٢ حزبا وجماعة «حزب الوفد – حزب الحرية والعدالة – حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي – حزب العمل – الحزب الناصري – حزب الكرامة – حزب الغد – حزب الوسط – الجمعية الوطنية للتغيير – حزب العدل – حزب مصر الحرية – حزب التوحيد العربي» يوم الثلاثاء ١٤ يونيو تحت عنوان «نحو تحالف انتخابي من أجل مصر»، وناقش الاجتماع تشكيل لجنة لإنجاز مشروع قانون انتخابات مجلس الشعب، ولجنة ثانية لدراسة التنسيق الانتخابي، ومناقشة مشروع وثيقة تحمل عنوان «مبادرة التحالف الوطني من أجل حكومة وحدة وطنية» وبناءً على اقتراح ممثلي حزب التجمع تم تغيير عنوان اللقاء إلى «التحالف الديمقراطي من أجل مصر»، وانضمت في الاجتماع الثاني للتحالف أحزاب أخرى أهمها حزب الجبهة الديمقراطية وحزب الجيل وحزب النور وحزب الحضارة وحزب مصر العربي الاشتراكي، وعلق د. عمرو هاشم ربيع رئيس برنامج التحول الديمقراطي بمركز الأهرام للدراسات السياسية والاشتراكية على ظهور هذا التحالف قائلا: «التحالف الجديد بين الأحزاب والقوى السياسية المصرية يعد أمرا محمودا.. والتحالف بين القوى المدنية والقوى ذات الطابع الديني سيؤدي في نهاية المطاف إلى جذب الأخيرة نحو الدولة المدنية، والتحالف سيسهم بشكل كبير في توفير الأرضية المناسبة لتكوين قوائم موحدة في الانتخابات البرلمانية المقبلة والتي سيكون هدفها منع فلول الحزب الوطني من أركان النظام السابق عن المشاركة في الانتخابات».

ولم يستمر هذا التحالف على نفس صورته الجامعة الشاملة طويلا.

فانسحب التجمع بعد المليونية التي دعا إليها الإخوان المسلمين ورفعوا شعار الدولة الإسلامية «الدولة الدينية» وهتفوا «يا أوباما يا أوباما.. كلنا هنا أسامة» في إشارة لأسامة بن لادن، وقال أمين عام حزب الحرية والعدالة الإخواني إن المعتصمين في ميدان التحرير خارجون على الإجماع الوطني، ورفعوا أعلام المملكة العربية السعودية، وهتفوا أيضا «يا مشير يا مشير عايزينك إنت الأمير»، وكانت «جمعة لَمْ الشمل» كما أطلقوا عليها قد عقدت يوم ١٩ يوليو ٢٠١١.

وتلي ذلك انسحاب حزب الجبهة الديمقراطية.

وبادر حزبا التجمع والجبهة مع ١٢ حزبا سياسيا مدنيا إلى تشكيل «الكتلة المصرية» والإعلان عنها في منتصف شهر أغسطس وعزمها خوض الانتخابات بقوائم مشتركة، وكانت الأحزاب المكونة لها هي «التجمع، الجبهة، المصريين الأحرار، المصري الديمقراطي الاجتماعي، التحالف الشعبي الاشتراكي، الحزب الشيوعي، مصر الحرية، الوعي، الاشتراكي المصري، التحرير الصوفي، المجلس الوطني، الجمعية الوطنية للتغيير، نقابة العمال المستقلة، نقابة الفلاحين المستقلة، اتحاد الفلاحين المستقل».

ثم أعلن حزب الوفد انسحابه من التحالف الديمقراطي وخوضه الانتخابات بقوائم خاصة به، وتلاه انسحاب أحزاب «إسلامية» ليتقلص التحالف إلى جماعة الإخوان المسلمين وعدد من الأحزاب الصغيرة والشخصيات المتعلقة بذيل الجماعة.

ولم ينقض وقت طويل حتى تعرض حزب الوفد لموجة من الاحتجاجات والاستقالات من لجان الحزب في الغربية والشرقية والقليوبية وأسيوط وبني سويف والدقهلية، نتيجة ترشيح عدد من كوادر الحزب الوطني على قوائم حزب الوفد في انتخابات مجلس الشعب، بل وعلى رأس هذه القوائم، ورغم نفي د. سيد البدوي رئيس الحزب وفؤاد بدراوي سكرتير عام الحزب وجود كوادر وقيادات الحزب الوطني على قوائم حزب الوفد، فإن الأمر اتضح عندما شرح بدراوي قرار اللجنة العليا لحزب الوفد، مؤكدا أنه «يحظر ترشيح أمناء الوطني المنحل وأعضاء الأمانة العامة للحزب وأعضاء لجنة السياسات فقط»، وبالتالي فلا يشمل مرشحيه لمجلس الشعب ٢٠١٠، أو الذين تقدموا للمجمع الانتخابي الخاص بمجلس الشعب!

وتعرضت الكتلة المصرية للمشكلة نفسها، وبدأت بانسحاب حزب التحالف الشعبي الاشتراكي عندما تمسكت الكتلة بأن أعضاء الحزب الوطني الذين تقدموا للمجمعات الانتخابية للحزب الوطني ولم يتم ترشيحهم من الحزب لا ينطبق عليهم قرار الحظر وليسوا من الفلول، وكان الحزب الشيوعي قد انسحب من الكتلة وأعلن مقاطعته الانتخابات وتلاه انسحاب أحزاب أخرى كمصر الحرية، لتتقلص الكتلة لثلاثة أحزاب هي «المصريين الأحرار، المصري الديمقراطي الاجتماعي، التجمع»، ويفاجأ حزب التجمع باستيلاء حزبي المصريين الأحرار والديمقراطي الاجتماعي على القوائم والاكتفاء بترشيح ١٤ فقط من حزب التجمع على قوائم الكتلة (٣٣٢ مرشحا) بنسبة ٢١,٤٪ ثم يتبين أن غالبية المرشحين على قوائم الكتلة من قيادات وكوادر الوطني خاصة المنتمين لحزب المصريين الأحرار، ليعلن عدد من لجان حزب التجمع في المحافظات مثل البحيرة وأسيوط وسوهاج.. إلخ عدم مشاركتها ورفضها قوائم الكتلة بسبب «الفلول».

وقام «الفلول» بتشكيل ثمانية أحزاب جديدة لخوض الانتخابات، وترشح آلاف من أبرز قيادات وكوادر الحزب الوطني على المقاعد الفردية – كمستقلين – مستندين إلى العائلات والعشائر والقبائل وإمكاناتهم المالية الهائلة وقدرتهم على ممارسة العنف والبلطجة والخدمات التي قدمونها لدوائرهم في ظل هيمنة الحزب الوطني على السلطة.

وفي ظل هذه الصورة يصبح صحيحا القول بأن البرلمان القادم – إذا تمت الانتخابات في موعدها – هو برلمان «الفلول» وجماعات الإسلام السياسي خاصة «الإخوان المسلمين»، وتشرذم القوى المدافعة عن الدولة المدنية الديمقراطية الحديثة، أي قوى الثورة.

إعـــلام ضـــد الـــثـــورة

فريدة النقّاش

«وقفتي كمواطن يخشى على وطنه خشية لا حدود لها، لكن وقفتي اليوم كإعلامي تدعوني إلى رصد تدهور ملحوظ في حرية الإعلام المهني، في مقابل تهاون ملحوظ مع الإسفاف الإعلامي، هذا التدهور وذلك التهاون نابعان من اعتقاد من بيده الأمر أن الإعلام يمكن أن ينفي واقعا موجودا أو أن يخلق واقعا لا وجود له».

هكذا قال الإعلامي «يسري فودة» في البيان الذي أصدره بعد توقفه عن تقديم برنامجه اليومي «آخر كلام» الذي كان يذاع على قناة الـ «أون تي في» وكان مقررا للحلقة التي أوقفت ظهور الكاتب «علاء الأسواني» للتعليق على حوار المجلس العسكري مع برنامج العاشرة مساء.

وأضاف «فودة» في بيانه استخلاصا يكاد يجمع عليه المحللون والساسة والنشطاء «أن ثمة محاولات حثيثة للإبقاء على جوهر النظام الذي خرج الناس لإسقاطه بعدما ملأ الأرض فسادا وفجورا وعمالة، اتخذت هذه المحاولات طرقا مختلفة بعضها موروث، وبعضها الآخر مبتكر».

ويأتي هذا الموقف الاحتجاجي لواحد من ألمع المذيعين وأكثرهم جدية وثقافة بعد فضيحة التغطية الإعلامية للتليفزيون المصري لأحداث ماسبيرو قبل أسبوعين حين وقعت المذبحة ضد المتظاهرين أقباطا ومسلمين الذين جرى دهس بعضهم بمدرعة رغم أن احتجاجهم كان سلميا، وأخذ التليفزيون المملوك للدولة يبث خطابا تحريضيا فظا ضد المتظاهرين ويتهمهم بالعدوان على الجيش، مستنهضا المواطنين للدفاع عن الجيش. كذلك جرى فصل الإعلامية «دينا عبد الرحمن» لأنها قرأت في برنامجها مقالا استفز أحد العسكريين. وقبل شهور أي بعد إزاحة «مبارك» وبعض أعوانه استدعت النيابة العسكرية الإعلامية «ريم ماجد» لمساءلتها حول فقرة في برنامجها كان قد اعترض عليها المجلس العسكري، كما جرت مصادرة عدد من جريدة «صوت الأمة»، وفي بيانات المجلس الأعلى للقوات المسلحة برزت لهجة تهديدية واضحة هي وحدها كفيلة بإرهاب الإعلاميين والمواطنين كافة، خاصة بعد تقديم أعداد متزايدة من متظاهري التحرير للنيابة العسكرية في ظل تفعيل حالة الطوارئ التي كان إلغاؤها مطلبا رئيسيا من مطالب الثوار.

وما يجري في ميدان الإعلام ومحاولة محاصرته من قبل المجلس الأعلى للقوات المسلحة الذي سارع بتعيين وزير للإعلام بعد إلغاء هذا المنصب، هو وجه آخر للتخبط في القرارات السياسية المحورية، مثل قانون الانتخابات وتقسيم الدوائر ومماألة فلول الحزب الوطني بالامتناع عن إصدار مرسوم بقانون ينظم العزل السياسي لكل من أفسدوا الحياة السياسية في ظل «مبارك»، فضلا عن التنسيق الضمني مع جماعة الإخوان المسلمين مما أثار حالة من الغموض والخوف من اختطاف الثورة واتساع الفجوة بين المجلس العسكري والقوى الاجتماعية المختلفة.. وبعد كل هذا بدأ السياسيون يستفيقون لحقيقة أن المجلس العسكري كان جزءا عضويا من النظام الذي سقط رئيسه وبعض أعوانه.

ويلعب الإعلام دورا محوريا في تشكيل الوعي وبناء الوجدان وتزداد أهمية هذا الدور ومحوريته في مجتمع تعرض لزمن طويل للقيود على الحريات العامة، وما تزال هذه القيود فاعلة رغم اندلاع الثورة وقدرتها على إنجاز بعض أهدافها، وقتل الخوف من النظام في قلوب المواطنين.

كذلك هو مجتمع تدهور فيه التعليم وجرت محاصرة كل من الأحزاب والنقابات والمجتمع المدني لعقود طويلة في ظل الدولة التسلطية التي ألحقت المجتمع بمؤسساتها وقد حولتها إلى أبواق تسبح بأمجاد الحاكم الفرد وأسرته، فضلا عن إفساد هذه المؤسسات مما أدى إلى تحللها من داخلها وتآكل مصداقيتها لدى الجماهير الواسعة التي أخذت تئن طيلة عقود تحت وطأة الإفقار والكذب وإهدار الكرامة.

يتضمن بيان «يسري فودة» أيضا دعوة لكل الإعلاميين للدفاع عن حقوقهم وكرامتهم حتى قبل الدفاع عن الثورة، فالدفاع عن حقوقهم وكرامتهم هو الخطوة الأولى الضرورية للدفاع عن الثورة والإسهام الجدي والفعال في تشكيل وبلورة نظرة ثورية منسجمة للعالم وبناء رؤية صادقة تتسق مع أهداف الثورة وتطلعات الشعب، ولا يجري اختزالها في الأفكار السياسية وحدها بل تمتد لتشمل الموقف من المرأة وطبيعة الدولة المدنية التي يكون فيها الدين شأنا شخصيا بين الإنسان وربّه وآفاق مبدأ المساواة وتملك الثروة، وفوق كل هذا وذاك كرامة الإنسان وحريته، وحرية الإعلامي هي جزء لا يتجزأ من حرية الجماهير التي تتطلع لاستكمال الثورة بعد استردادها.

دون هذا تصبح حرية الإعلام حبراً على ورق.

على هامش الصراحة

■ إحسان شمران الياسري

كل خميس: إستذكاراً لصراحة (ابو كاطع)

نواصل في هذا العمود إعادة نشر بعض ما كتبه الراحل (شمران الياسري- أبو كاطع) في عموده الشهير (بصراحة ابوكاطع) قبل أكثر من ثلاثة عقود، لنُريح الناس، وليستذكروا سخريته ممن كانوا مسؤولين عن خلق المعاناة لهم.

بـذرة الخيـر

لم أره منذ سنوات، لا اقول نسيته، مع ان ذاكرتي تبدو مثل بيت طوردت فيه (حية) خطرة، قبل ثلاثة ايام تسلمت رسالته، اسمح لنفسي بنشر الجزء الختامي منها:

(.. توهمت ان بيني وبين الموت ساعات.. وقد تقرأ النعي في حقل الاجتماعيات، اعلم انك تحزن، ولكنني اخشى ان تطرح هذا السؤال، ترى هل بقي على العهد، حتى ساعة مماته؟ أتراه نادما على ما صرف من ايام الشباب متنقلا بين سجون العراق ومعتقلاته؟ جلدتني هذه التساؤلات، الموهومة، بغصن رمان رطب. فوجدتني اكتب اليك وصية الاموات، واقرر لا تذهبن بك الظنون.. انتم في قلبي حتى آخر لحظة من عمري..)

صديقي لم يمت –اتمنى له عمرا مديدا مثمرا–.

ويتعين عليّ الآن جوابه.

يا صديق الصبا والشباب، بذرة الخير لن تموت، هذه قناعتي. اولست ابن فلاح، يا صديقي؟ انسيت سنبلة القمح، التي اخطأها منجل الحاصد. او انزلقت من حضن (المحّضنة)؟

تنتشر القطعان بعد الحصاد في الحقل، وتظل تدوس السنبلة شهورا باظلافها.. وتتراءى الارض مصلوبة تحت وهج الشمس.. ويشتد ريح السموم وتعصف رياح الخماسين.. تقتلع قشرة من وجه الارض. وذات يوم – وقد طاب الجو– تجود السماء بمزن، فترتفع حبوب السنبلة –اياها– رأسا شامخا.. ثم تستوي زرعا –هو ذاك الذي ندعوه (چاث)– ويتكرر الحصاد وتسقط سنبلة، وقد تعاني من قسوة الطبيعة اضعافا.. ثم ترفع رأسها من جديد، حالما تلامسها قطرة ماء. ويتكرر النمو، وفي هذه المره ندعوه: (چاث الچاث).

في قريتي يتحرّج الفلاحون من حصاد العام الثالث (چاث الچاث) انطلاقا من فكرة يمكنك اجمالها بالقول الاتي: (حصدت الچاث الاول، لان فيه بقية من جهدك، اما جاث الجاث فليس لك فيه جهد.. ومن باب اولى ان ليس لك حق حصاده.. انها مسألة اجتهاد، وهي استطرادية يمكن اغفالها.

اعود ثانية اذكرك ببذرة خير اخرى، لن تموت وهي تعاني اضعاف ما تعانيه بذرة القمح، اعني الچمه (هل اكلت الچمه) طعاما لذيذا؟

أرأيت كيف ينبعث من تحت رمال وتراب الصحراء، حالما تبرق السماء وترعد؟

كاريكاتير

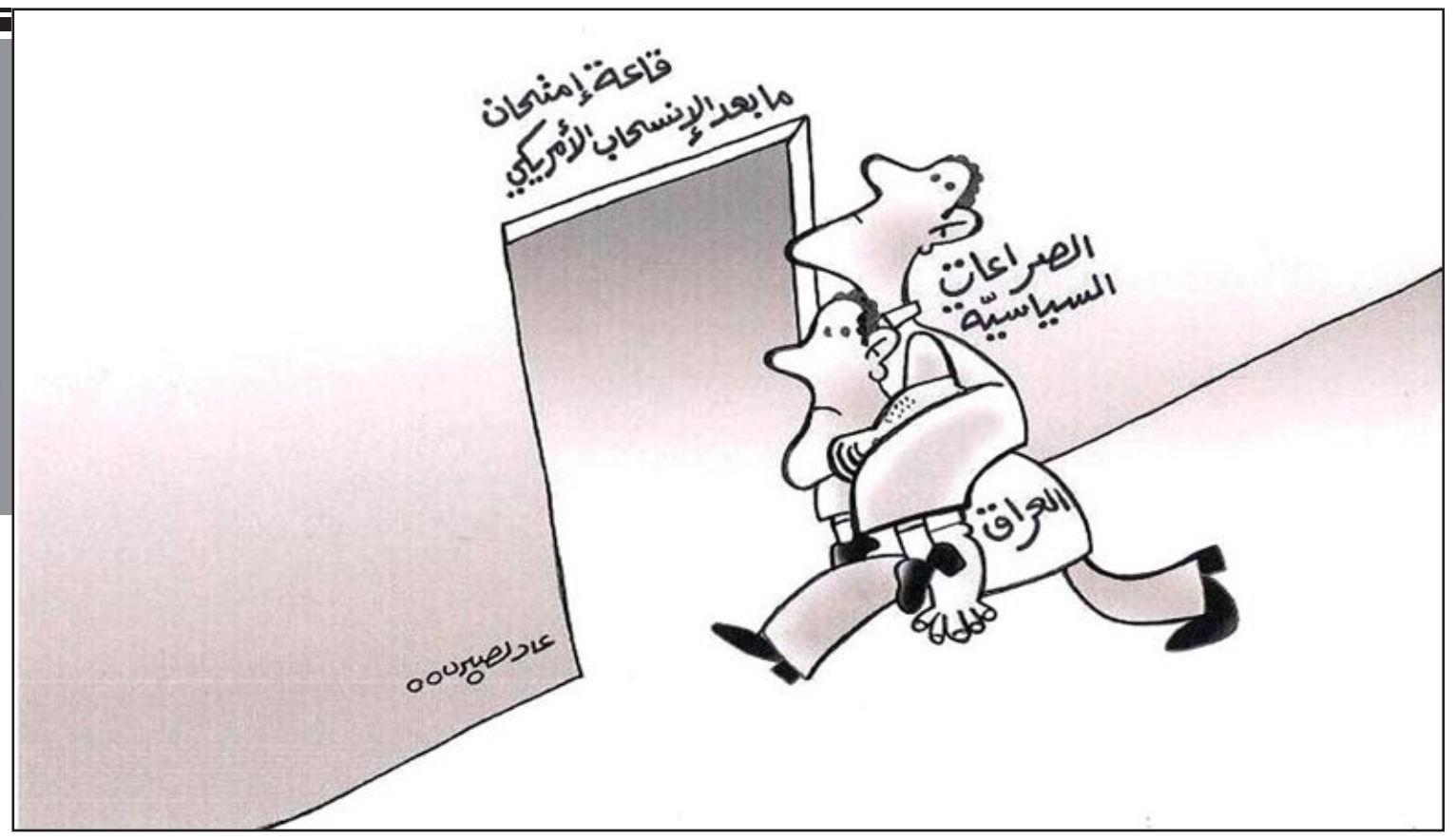

■ عادل صبري

عـــن الـــرحـــيـــل مـــــرة أخـــــرى

عماد حسن

من بين قصص قيلت أو كتبت سريعاً وأحيانا بتمهّل وتركيز، في الآونة الأخيرة والتي تبقى عالقة في الذهن لفطاريتها وربما لصدقها، واحدة تحدثت عن حلم برحيل جماعي على الأقدام إلى أقاصي الكون. تلك الفكرة الموجودة في أقدم وأكثر كتب الأديان إثارة للدهشة والضغائن على حد سواء، والذي تواطأ البشر على صياغته ونسبوه لشيء لا يملك أن يثبته أو ينفيه.

وما يجعل تلك القصة مقبولة وتحتوي على قدر من المعاصرة هو وضعنا ضمن مفهوم الوطن ولا أقصد بالضرورة المكان.

المشهد يبدو سحرياً وعلى قدر من شاعرية غامضة يثيرها قرار الرحيل ذاك. لماذا ترحل الجموع على هذه الشاكلة؟ سؤال لا يجيب عليه (فورست كامب) بالطبع، الهارب من أعباء واقعه الشخصي ومن نفسه إلى حال أكثر عمقاً وانفتاحاً. أي إن رحيله على قدميه ولسنوات كان شكلاً من ترف فلسفي قادته إليه اضطرابات زمنه المشحون بالتحولات.

وبعد سنوات حينما توقف فجأة ونظر إلى الخلف، شاهد الجموع التي كانت تتبعه على طول رحلته، لم يدهش كثيراً لكنه قال جملة واحدة فقط: لقد تعبت. اختزلت ذلك التيه الطويل نسبياً مقارنة بتيه أقدم واعقد أنجزه بنو إسرائيل قبل أزيد من ثلاثين قرناً. التيه القديم كان أشبه بوعد من إله ليس لديه الكثير ليفعله في تلك الأزمان، أعطاه، بادعاء مشكوك فيه، لبني إسرائيل على أنهم إذا ما خرجوا من مصر فانه واهب لهم وطنا جميلا ومقدسا سيعيشون فيه وأجيالهم. ليس كما كانوا، عبيداً للمصريين وللبابليين من قبلهم. ذلك الطموح المشروع كما يُعتقد، كان الدافع الأوحد وراء شروعهم برحلة كلفتهم أربعين عاماً من التيه لم نعرف خلالها كيف نجوا، فيزيقياً، من ذلك القفر الشاسع. الرحلتان اللتان أنجزتا كان لهما ما يبررهما من وجهتي نظر أصحابهما على الأقل. الأخيرون كانوا يبحثون عن وعد بوطن يستطيعون من خلاله إعادة احترامهم لأنفسهم التي سلبها العيش في بلاد الآخرين، والأول يبحث عن معنى غير ممسوك لوطن عاش فيه طوال عمره وحارب من أجله، مع أنها لم تكن حربه. إنها بونراما البحث الطويل والشاق عن فكرة الوطن المبددة بين وجوده كجغرافيا مجردة وبين أعباء استعادته. الحديث عن الرحيل تثيره دائما إمكانية البقاء في فكرة الوطن كما نرسمها نحن أو نتخيلها. هل نستطيع العيش في وطن خال من فكرة المواطنة التي تشترط وجوده أولاً؟ إذ لا وجود لوطن دونها، وهي ما سعى بنو إسرائيل إليها، أي إننا حين نموت، نموت كمواطنين وشهداء، وحين نعيش، نعيش كمهمشين وغرباء. لا أبحث عن جواب، فنحن نستطيع أن نخمنه في نهاية الأمر. الأمر الثاني، هل نستطيع العيش بسلام ضمن موروثات وأساطير وخرافات نُقسر على قبولها لنحقق فكرة مواطنتنا؟ التي تتغذى بالموت أيضاً. أي أن نمارس حرية فكر غير آبهة بالمسلمات المتوارثة، وهذا ما أراده (فورست كامب). دون أن نُقمع أو نُبعد أو نُصفى، كما حدث مع هادي المهدي مؤخراً. ربما كان في رحيل عبد الخالق كيطان الأخير العكسي نحو بلاد الآخرين، فسحة أخرى للتفكير في جدوى أن يكون لك وطن دون حقوق تذكر، وطن أنت مهدد فيه لمطالبك في أن تكون مواطناً في وطن ما، ومهدد به حينما تُعْلن أنك خارج عليه، لأنك تريد أن تصبح مواطناً كاملاً دون اشتراطات يفرضها من يمسكون برقبة الوطن.. قبل أربعة أعوام وتحديداً في شهر أيلول ٢٠٠٧. باغتني عبد الخالق بسؤال لم أستطع بعده النوم بسلام: ما جدوى أن تعيش في غربة بكامل حقوق الوطن وتترك وطناً صار لنا بعد أن كان للأحد؟ ومما زاد من ثقل السؤال هو ما قاله، بحسه الساخر الذي لا ينضب، صديقنا الروائي حسن ناصر وهو يشاهد مؤيدي النظام السابق وهم يتدفقون إلى الخارج في رحلتهم المشهودة للحلول مكاننا: لقد كانوا هناك ونحن كنا هاربين، الآن هم هربوا فيجب أن نعود. وبين سؤالين كان مصدرهما عبد الخالق نفسه اكتشف كلانا، وربما كلنا، نفس الجواب لكن في أوقات متفاوتة. بأن لا الأرض ولا التراب ولا السماء ولا البيوت ولا الأزقة ولا الأنهار ولا حتى الذكريات هي ما تشكل مفهومنا الحقيقي عن الوطن. أكثر مما يشكلها واقع نريد له معاملتنا كوجود أكثر حقيقة وتجلياً، من مجرد فكرة وطن ليست أقل غموضاً من فكرتنا عن الزمن. وعلى أساس هذا الاكتشاف المتأخر، لكنه حتمياً بالتأكيد، واصل صديقنا عبد الخالق كيطان رحلته (اليوليسيزية) تلك إلى عمّان، المحطة الأولى له في رحيل قديم أخذ كل ما يعول عليه من سنوات العمر، بعد أن سبقه في رحلة عكسية أيضاً صديقنا الشاعر علي عبد الأمير الذي اكتشف هو الآخر أن كل ما خاطرنا من أجله وما فعلناه ما قلناه عن الحرية والجمال والخير والعدل لم يكن إلا حلماً متواصلاً صحونا منه بعد عام ٢٠٠٣، السعيد من بين كل تقاويم سنواتنا الجامحة. في هذه اللحظة فقط وعلى وجه التحديد في هذا المكان من القصة توجد أشد المناطق اشتباكاً مع الوهم، ذلك الذي يكمن في فكرتنا الطوباوية عن الوطن باعتباره مذبحاً لا متناه لأحلامنا وحيواتنا المسكينة. نموت من أجله، نفتديه بأرواحنا، نُقتل في حروبه الكثيرة، نُعدم من أجل عليائه، نُقَّطع، نُذَّرى، نُعَذب، نُشَرد، نعود، نُشَرد مرة أخرى. لكننا حين نطالب أن نكون أبناء شرعيين له، نقتل مرة أخرى!. (الوهم الذي لا يعرف أنه وهم.. ذلك هو الوطن). رحيل عبد الخالق، وربما أصدقاء آخرون في ما بعد، خسران فادح لإرادة الحياة التي رافقته حينما عاد إلى وطنه مليئاً بفرح أسرع عطبا من جناح فراشة قرب النار. لكنه كان كافياً ليكتشف حجم الخيبات التي صادفها في دروب الآخرين. وكان كافياً أيضا ليجد من يلومه على تخريب حياتنا بهذا الشكل القاسي، حياتنا هذه التي لا نملك شيئاً غيرها على الأغلب.